حضارة مصر الإسلامية

الخلافة الإسلاميَّة

الخلافة في الفقه السني هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلاميِّ وحمل الدعوة الإسلاميَّة إلى العالم، وهي عينها الإمامة .

يقول أبو الحسن الماوردي " الإِمَامَةُ مَوْضُوعَةٌ لِخِلاَفَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا ، وَعَقْدُهَا لِمَنْ يَقُومُ بِهَا فِي الأُمَّةِ وَاجِبٌ بِالإِجْمَاعِ "(١)

وسمِّيَت خلافة لأن الذي يتولاها يخلف النبيَّ في إدارة شئون المسلمين. وتسمَّى الإمامة لأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلُّون وراء من يؤمُّهم في الصلاة .

ودلَّت الأحاديث الواردة في كتب أهل السنَّة أن الخلافة يجب أن تنحصر في قبيلة قريش، وأنها ستستمر بعد سيدنا محمد لفترة ٣٠ عاماً، وهي فترة حكم الخلفاء الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم تحوَّلت الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض (فيه عسف وظلم) وهي

---

(١) أبو الحسن الماوردي " الأحكام السلطانيَّة " ص ٣ .

فترة تشمل الدولة الأمويَّة والدولة العباسيَّة والدولة الفاطميَّة والدولة العثمانيَّة وغيرها. ويُعتقد أن الدولة ستصبح حكما جبريّاً، ثم ستعود مرة أخرى خلافة على منهاج النبوة حسب المفهوم السني .

عن سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ قال حَدَّثَنِى سَفِينَةُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " الْخِلاَفَةُ فِى أُمَّتِى ثَلاَثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكاً بَعْدَ ذَلِكَ ". ثُمَّ قَالَ لِى سَفِينَةُ أَمْسِكْ خِلاَفَةُ أَبِى بَكْرٍ وَخِلاَفَةُ عُمَرَ وَخِلاَفَةُ عُثْمَانَ وَأَمْسِكْ خِلاَفَةُ عَلِىٍّ . قَالَ فَوَجَدْنَاهَا ثَلاَثِينَ سَنَةً "[صححه الألباني]

قَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ " [صححه الألباني]

ونظام الخلافة الإسلاميَّة يجعل جميع البلاد التي فتحها المسلمون ومنها مصر ولايات تابعة لخلفاء المسلمين الراشد منهم والظالم كأنها محافظات في دولة مركزيَّة يتحكَّم في كل شئون الولايات التابعة له ابتداء من تعيين الوالي وعامل الخراج (وزير المالية) حتى التحقيق في شكوى آحاد الرعيَّة ، كما جعل نظام الخلافة الولايات الإسلامية كالأواني المستطرقة يفيض غنيِّها على غَيْض فقيرها ؛ فلا حدود جغرافيَّة سياسيَّة ولا قيود على حركة سكانها ؛ فحريَّة التنقُّل والسفر والإقامة الدائمة أو المؤقتة مكفولة لكل الناس في بلاد الإسلام لكل المسلمين ، وقد نتج عن ذلك انصهار الولايات الإسلاميَّة في دولة

الخلافة لذا لا نستطيع القول إن هناك ولاية من الولايات الإسلاميَّة أنشأت حضارة خاصة اعتمدت فيها فقط على عواملها الطبيعيَّة والبشريَّة ، لذا دأب المؤرخون على الحديث عن الحضارة الإسلاميَّة بصفة عامَّة ، ولم يتحدَّثوا قط عن حضارة بغداد أو القاهرة أو خراسان أو مكة ... كحضارات مستقلَّة كالحضارة المصريَّة القديمة ، الحضارة السومريَّة ، الحضارة البابليَّة ، الحضارة الآشوريَّة ، الحضارة الفينيقيَّة ، الحضارة الأكديَّة ،الحضارة الساسانيَّة ... فأصحاب كل هذه الحضارات وغيرها صارت تجمعهم حضارة واحدة في الخلافة الإسلاميَّة ذلك النظام الديني السياسي الذي خضعت له البلاد الإسلاميَّة طائعة أو كارهة أكثر من ألف سنة ، وإن كانت هناك بعض الولايات لها وضع متميز في العلم والثقافة ومظاهر الحضارة كمصر ودمشق وبغداد وقرطبة ... لذا نجد لزاماً علينا أن نتحدَّث ، بإيجاز شديد ،عن الحضارة الإسلاميَّة بصفة عامَّة ثمَّ نتحدَّث عن موقع مصر من تلك الحضارة .

استفادة الحضارة الإسلامية من الحضارات القديمة

لقد استفاد المسلمون من مَدَنِيَّة الحضارات السابقة كما استفاد أصحاب الحضارات الأخرى بالحضارة المصريَّة القديمة وغيرها ، فتاريخ العلم يشهد بأن الذين صنعوا الحضارة الإسلاميَّة هم المسلمون من أصحاب الحضارات السابقة يقول ابن خلدون : " إن الصنائع من منتحل الحضر وأن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضريَّة وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة

فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربي وكان علماء أصول الفقه كلهم عجما كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم " (١)

وهكذا قامت الحضارة الإسلاميَّة على أكتاف كل المسلمين فمسلمو العرب فتحوا البلاد ونشروا الدين ، ومسلمو الأمم الأخرى كمصر والشام والعراق والأندلس .. أقاموا صرح الحضارة على هدى الإسلام وتعاليمه، وبما تعلَّموه من حضارة أممهم والأمم الأخرى من أصحاب الحضارات القديمة ، وكان مسلمو العرب من الذكاء بحيث أبقوا على النظم الإداريَّة والسياسيَّة والماليَّة التي كانت مُتَّبَعة سابقاً في البلاد المفتوحة ذات الحضارة ، كما حافظوا على التقاليد الفنيَّة والصناعيَّة لدى أهلها .

وتعدُّ الحضارة الإسلاميَّة واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها العالم " بسبب الدور الذي لعبته في تاريخ الإنسانية ، ففي بوتقة الحضارة الإسلاميَّة التقت حضارات عديدة متباعدة نجحت في اختيار العناصر الصالحة منها ثم مزجت بينها وأكملت نواحي النقص فيها " (٢)

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٤

(٢) د. أحمد عبد الرازق أحمد " الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى " دار الفكر العربي ص ١١

ولاغرو أن استفادة الحضارة الإسلاميَّة من الحضارات السابقة فهي تعد نفسها الوريثة الشرعيَّة للحضارة المصريَّة القديمة أمِّ الحضارات كما أنها انتفعت بكل العلوم الأخرى التي تتفق وشريعة الإسلام ، فالعلوم العقليَّة كالطبيعة والرياضة والتكنولوجيا (١) لا وطن لها ولا دين " العلوم العقليَّة كالطبيعة والرياضة والطب فأكثر ما تعتمد على معقوليَّة الحقائق وامتحانها إما عن طريق المنطق ، وإما عن طريق تجربة الحقائق وامتحانها عمليّاً ، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها ، ولكنهم يعنون بوضع قواعد المنطق ، هل من قوانينه ما يؤيدها أو ما ينقضها ، وكذلك يمتحنونها عمليّاً ليرقبوا نتيجتها فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب " (٢)

والعجيب ألا يذكر المؤرِّخون تأثير الحضارة المصريَّة القديمة في الحضارة الإسلاميَّة الوسيطة وهي أقرب الحضارات إليها .

فهل كان المسلمون من السذاجة بحيث يهملون الحضارة المصريَّة الأم، وقد فتحوا مصر ، ويتَّجهون إلى غيرها من حضارات وليدة وبعيدة؟

ألم يحاول المسلمون قراءة الحضارة المصريَّة القديمة وقد أحاطت بهم من كل اتجاه ؟

ألم يستلفتهم – وهم الأذكياء اللمَّاحون – الهرم الأكبر المعجزة الخالدة ؟

---

(١) التكنولوجيا : التطبيق العملي للعلم ، وجميع ما اخترعه الإنسان من آلات تكونولوجيا سواء أكانت أدوات قديمة كالفأس والساقية والقدوم والمنشار .. أم كانت أدوات وأجهزة حديثة كالتلفون والراديو والكومبيوتر وسفن الفضاء ...

(٢) أحمد أمين " ضحى الإسلام " ص ١٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ألم يجذبهم التاريخ المصري القديم وهم الذين أرَّخوا لكل الأمم ؟

هل عجزوا عن فكِّ رموز اللغة المصريَّة – لغة حضارتهم –حتى جاء الفرنسي شامبليون لكي يفكَّها لهم ويعلمهم تاريخهم ؟

د. عكاشة الدالي و صفحة مجهولة في كتاب الحضارة الإسلاميَّة

في عام ٢٠٠٤ م كشف عالم المصريات عكاشة الدالي (١) أن العرب هم أوَّل من فكُّوا رموز اللغة المصرية القديمة قبل شامبليون ، ولقد كشف د. عكاشة الدالي في الحوار الذي أجرته معه مجلة " آخر ساعة " عن صفحة مجهولة في كتاب الحضارة الإسلاميَّة الخالدة ؛ فأكدَّ بالأدلة القاطعة معرفة المسلمين اللغة المصريَّة القديمة واستفادتهم من الحضارة المصريَّة القديمة مباشرة فضلاً عما استفادوه مترجماً من الحضارات الأخرى .

---

(١) عكاشة الدالي عالم مصري استقر في لندن قبل ربع قرن حصل خلالها على الدكتوراه عن رسالة بعنوان (مصر القديمة في المصادر الإسلاميَّة العربيَّة في العصور الوسطى) أثبت فيها أن العرب سبقوا شامبليون في فك رموز الكتابة الهيروغليفية بثمانمائة عام . وقالت لجنة التحكيم إن الرسالة تؤسس لعلم جديد ، وقررت الجامعة الإنجليزية طبع الرسالة ونشرها على نفقتها الخاصة .

ويعتبر د . عكاشة الدالي من أساتذة التاريخ المصري بمعهد بتري للآثار المصرية التابع لكليَّة (ucl) جامعة لندن وهى رابع أهم جامعة في العالم طبقاً للتصنيف الدولي .

ألقى د. عكاشة الدالي عدة محاضرات في مصر، وبريطانيا، وهولندا، والسويد، والولايات المتحدة؛ كما يقوم بتنظيم الرحلات العلمية إلى مصر. قام بترجمة كتاب موريس بيربراير (بناة مقابر الفراعنة) إلى العربية تحت عنوان (صناع الخلود)، كما ترجم كتاب جيفري سبنسر (مصر في فجر التاريخ: مشرق الحضارة في وادي النيل)؛ وصدر له عام ٢٠٠٤ عن جامعة يونيفرستى جامعة كوليدج(علم الآثار المصرية، الألفية الغائبة: مصر القديمة في المصادر العربية الوسطى) . راجع الحوار الذي أجراه نجاد فكري لموقع البدرشين اليوم مع د. عكاشة الدالي .

في بداية اللقاء أكد الدكتور عكاشة الدالي أن علماء العرب لهم اجتهادات علميَّة كبيرة في مختلف مناحي الحياة العلميَّة سواء في الطب أو العلوم أو الهندسة والفلك وهو ما يعترف به العالم الغربي المستعد دائماً للاعتراف بفضل العرب عليهم وتقدمهم في هذا المجال.. كما لا ينسي الغرب للعرب فضلاً آخر هو الحفاظ علي التراث اليوناني ونقله للأوربيين ولولا جهود العرب في هذا المجال لفقدت إلي الأبد الآداب والعلوم والحضارة اليونانيَّة مع الأخذ في الاعتبار أن العرب لم يكونوا مجرد نقلة لهذه العلوم والمواد العلميَّة للكتابات اليونانيَّة بل تشرَّبوها وأضافوا إليها وطوَّروها .

والغرب إذا كان يعترف بفضل العرب في كل المجالات إلا أنه لا يذكر العرب إطلاقاً ولا المسلمين إذا تعلَّق الأمر بدراسة الحضارة والآثار المصريَّة القديمة بل ويروِّجون لأفكار غير حقيقيَّة هي أن الإسلام يحارب الحضارات ويعتبر أن كل ما سبقه جاهليَّة وأن الإسلام يمحو ما قبله ويكفِّر الدارسين والمهتمين بالحضارات السابقة.. والحقيقة أن الإسلام بريء من هذه الاتهامات ونصوص القرآن صريحة في مجال رفع العلم والعلماء ونصوص القرآن الكريم تحضُّ المسلم علي السير في الأرض والنظر والتفكر في كيفية بدء الخلق وشجع العلم ورفع العلماء علي الذين لا يعلمون.. وأضاف أنه بالرغم من أن الإسلام يأمرنا بالسعي في الأرض ومعرفة كيف بدأ الخلق نجد هناك من يحاول خلق الصراع بين المسلمين والحضارة الفرعونيَّة بالرغم من عدم وجود صراع بين الحضارتين فنحن أبناء الحضارتين نعيش كمسلمين نعلم

تماماً تعاليم ديننا ونزهو بحضارتنا القديمة التي امتدت إليها الحضارة الإسلاميَّة .

هل هناك صراع بين الحضارتين الإسلامية والمصرية القديمة ؟

وأكَّد الدكتور عكاشة الدالي علي عدم وجود أي صراع بين كوني مسلماً متحمِّساً للإسلام ومهتمّاً بالحضارة المصريَّة القديمة أو تناقض بين اهتمامي باللغة العربيَّة أو اللغة المصريَّة القديمة وبنظرة فاحصة للتاريخ العربيِّ الإسلاميِّ في مصر نؤكد أن المسلمين في القرون الوسطي أخذوا علي عاتقهم القيام بدراسات علميَّة مكثَّفة لكل ما سبقهم من حضارات وعلي رأسها الحضارة المصريَّة القديمة كما كان لهم السبق في اكتشاف مغاليق الكتابات المصرية القديمة وعلي رأسها اللغة الهيروغليفية وذلك قبل شامبليون نفسه بمئات السنين وعندي الدلائل الكثيرة عن هذا الموضوع وقد سجلتها في رسالتي للدكتوراه والتي حصلت عليها وكانت بعنوان "مصر القديمة في الكتابات الإسلامية والعربية في العصور الوسطي .

دراسات المسلمين عن الحضارة المصرية القديمة

واستطرد .. أما الدليل عن المبحث الأول وهو اهتمام العرب والمسلمين بالدراسات الأثرية فواضح حيث إنَّ المعابد المصريَّة القديمة أغلبها كان قائماً عند الفتح الإسلامي وحرص العرب الأقدمون علي زيارة الآثار المصريَّة .

الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي المتوفى عام ١٢٥١م وهو فقيه ومحدِّث ورث العلم عن والده فقد قام بتأليف كتاب يعد من أهمِّ الكتب العلميَّة عن تاريخ الأهرام وعنوانه " أنوار علوم الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام " وهو عبارة عن رسالة من سبعة فصول ناقش فيها الطريق إلي الأهرام وسبب بناء الأهرام ومتى تم بناؤها والوظائف المرتبطة ببنائها والذين زاروا الأهرام وهي دراسة عظيمة جداً استخدم في مصادره لهذه الدراسة مالا يقل عن ١٣٠ كتاباً ٣٠ كتاباً منها علي الأقل له علاقة مباشرة بموضوع الدراسة.. الأهرام والشريف الإدريسي، له ٣ كتب مكرَّسة لتاريخ مصر القديمة منها كتاب " الجوهرة اليتيمة في تاريخ مصر القديمة " . وهذا بالطبع يؤكد أن الإسلام لم يقف أبداً أمام علوم الآثار والحضارة المصرية وإلا ما بقيت هذه الآثار وما كان لفقيه محدث متبحِّر في علوم الفقه والحديث الشريف أن يكرِّس حياته لدراسة وكتابة تاريخ مصر القديمة وهو ما ينفي شائعة أن المسلمين ليس لهم اهتمامات وأنهم يرفضون دراسة الحضارات القديمة بصفتها وثنية .

هل فك المسلمون رموز اللغة المصرية القديمة ؟

ويضيف د.عكاشة الدالي بأن العرب والمسلمين إذا كان لهم باع كبير في دراسة الآثار والحضارة المصريَّة فإنه يحسب لهم السبق في حل سر اللغة المصريَّة القديمة وخاصة الخط الهيروغليفي وقد نجح في هذا المجال العديد من العلماء العرب ويأتي علي رأسهم العالم العربي أيوب بن سلمة من القرن التاسع الميلادي والذي يقال إنه اصطحب الخليفة

العباسي المأمون حين زار مصر عام ٨١٦ م وقرأ له الكتابات المصرية الموجودة علي الآثار المصرية سواء في عين شمس أو الأهرام وجاء من بعد أيوب بن سلمة العالم الصوفي الكبير ذو النون المصري الذي كان يقرأ الكتابات الفرعونية التي علي جدران المعابد .

ثم جاء بعدهما العالم العراقي ابن وحشية الذي زار مصر في القرن العاشر الهجري وكان أحد علماء الكيمياء إلا أنه كتب رسالة علمية قيمة جداً وعلي درجة كبيرة من الأهمية تحدث فيها بالتفصيل عن الكتابة الهيروغليفية وتمكَّن لأول مرة أن يعطينا صفحات فيها ترجمة للحروف الهيروغليفية ولم يكتف بذلك بل توصل إلي ما يعرف في اللغة بالقيمة الصوتية للحروف وذكرها كما تمكَّن من إدراك أن بعض هذه الأشكال ما أسماه بالمخصصات وهي عبارة عن أشكال تضاف إلي الحروف لتوضح معني وتوضع بعد نهاية الكلمة وهذا اللفظ مخصصات يتم استخدامه في التعبير عن الكتابة الفرعونية حتى الآن وهذا إنجاز علمي غير مسبوق وهو أول عالم في التاريخ يصل إلي هذا الاكتشاف.

والشيء الجميل أن العالم الكبير ذكر في أحد كتبه أنه من أراد التوسع في موضوع الدراسات اللغويَّة فليرجع إلي كتاب حل الرموز للعالم الفقيه جابر بن حيان الصوفي والمعروف بأنه مؤسس علم الكيمياء والجبر ولكن ما يهمني كباحث في اللغة أن أذكر أن جابر بن حيان زار مصر وتحدث عن معبد دندرة وزيارته للكريبت (السرداب) المشهور تحت المعبد عن تعليمه وتلقيه العلم في دندرة وهو ما ذكره ابن وحشية في كتابه المفقود ويؤكد فيه أن ابن حيان زار المعبد وتلقي العلم فيه .

والجدير بالذكر في هذا المجال أن العلماء العرب كانوا يحرصون علي دراسة اللغات الأخرى خاصة اللغة اليونانية والفارسية والتركية والقبطيَّة ورغم علمهم بأن العلوم اليونانيَّة ترجمت إلي العربية والسريانية إلا أنهم حرصوا علي معرفة اللغة اليونانيَّة وكثير من العلماء تخصصوا فيها مثل : الكندي ،والفارابي ،والبيروني الذي كان يجيد اليوناني ،والفارسي ،والتركي ،وسنسكريت وهي لغة الهند القديمة وله كتاب مشهور في وصف الهند .

ولوجود كثير من الكتابات المصرية القديمة كتبت في العصر المتأخر بالديموطيقي وأحياناً تجد نفس النص مترجماً بالقبطي أو اليوناني كما هو الحال في المسلة الناقصة التي كانت في معابد فِيلَة التي اقتطعها بانكس عالم الآثار وموجودة حالياً في دوبست بانجلترا وعليها نصوص لأربع لغات وكذلك تمثال داريوس أيضاً باللغات الأربعة ولدينا عشرات القطع عليها نصوص بأكثر من لغة كما هو الحال مع حجر رشيد ولأن العلماء العرب كانوا علي دراية باليونانية والقبطيَّة فقد استطاعوا أن يتعرفوا بسهولة علي اللغة المجهولة سواء أكانت ديموطيقية أم هيروغليفية .

ماذا بقي لشامبليون من إنجاز علمي ؟

سألت الدكتور عكاشة تري ما هو دور شامبليون وإنجازه العلمي المنسوب إليه؟ فأجابني بقوله إن الإنجاز العلميَّ لشامبليون إنجاز عظيم جداً ونحن مدينون بكل الفضل له فهو كثير وليس في اللغة فقط بل له دراسات أخري كثيرة ولكن ما أود ذكره أن شامبليون ليس أول من

فك رموز اللغة المصرية القديمة ولكنه أول أوربي ينجح في ذلك وقد سبقه العرب وهو ما أكدتُّه من خلال بعض المخطوطات التي عثرتُ عليها وحققتُها من خلال رسالتي العلمية التي تناولت من خلالها عدة مئات من المخطوطات ولكن يوجد هناك عدة آلاف من المخطوطات لم أدرسها ولم أعثر عليها ولدي إحساس كبير أن الذي استطاع أن يقرأ الكتابة المصرية لابد أن يكون قد توصَّل لحقيقة حروفها .

وأكد الدكتور عكاشة الدالي أن مصر كانت مصدر إشعاع فكريٍّ وعلميٍّ وأدبيٍّ لأوربا في العصور الوسطي وأن الدارسين العرب واليونانيين كانوا يترددون علي معابدها وأديرتها للنهل من علومها حتى هوميروس صاحب الإلياذة والأوديسا حيث يقول: مصر بلد الأطباء أحكم بلاد العالم .

تعليق على آراء د. عكاشة الدالي

ونحن إن كنَّا نشكر للدكتور عكاشة دراساته المصرية القديمة ، ودفاعه عن العلماء المسلمين الذين سعوا إلى فك رموز اللغة المصريَّة القديمة ، فكثير مما جاء في مقالاته وكتبه يحتاج إلى مزيد من الدراسة، والبحث ؛ لأن دعواه بمعرفة المسلمين قبل شامبليون باللغة المصريَّة القديمة ، وقراءتهم الوثائق المصرية القديمة دعوى تحتاج إلى مزيد من الأدلة والبرهان ، ولكن لا يعني هذا أن ننكر على بعض العلماء العرب سعيهم لدراسة الحضارة المصريَّة القديمة ، وفك رموز لغتها.

ولم يكن للحركة العلميَّة – إبان مجد المسلمين – أن تزدهر إلا إذا كان وراءها تشجيع من الخلفاء ، وولاة الأمر فقد " فتح الخلفاء والأمراء

قصورهم للعلم والعلماء وتنافس الخلفاء والحكام في رعاية العلم والعلماء وتسابقوا في الإنفاق في سخاء على العلم والعلماء ، وقبل الرشيد الجزية كتباً ، كما دفع المأمون وزن ما ترجم ذهباً ، وقبل إنشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ، ومنازل العلماء ودور كتب المساجد بمثابة جامعات يحج إليها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض ، وجاء وقت كان كل طالب علم يجد معهداً يتعلم فيه ، ومُعَلِّماً يقوم على تعليمه ، وراتباً يقوم بأوده ، وكان الجامع المنصور في بغداد ، والجامع الأموي في دمشق ، والجامع الأزهر في القاهرة ، وجامع القيروان بتونس ، وجامع القرويين في فاس ، وجامع قرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير بصنعاء إلى جانب بيت الحكمة في بغداد، ودار العلم في الموصل ، ومكتبة ابن سوار بالبصرة ، كانت في رعاية الخلفاء الحكام من أمثال المأمون ونظام الملك ونور الدين محمود زنكي والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبي ممن يوضعون على القمة من حيث رعاية العلم والعلماء .

وفي هذه البيئة العلميَّة الصالحة ، وفي هذا الجو العلمي الحافل ، نشأ عدد من العلماء يقرنون إلى أعاظم العلماء في كل عصر وأوان ، وكانت العربيَّة لغة العلم يكتب بها العلماء ليقرأ الناس في أي صقع من أصقاع الوطن العربي الإسلامي ، وازدهرت حركة الترجمة أيما ازدهار، ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة في مختلف فروع المعرفة العلميَّة ،

نقلوا علوما وابتكروا أخرى وأضافوا كثيرا من الآراء والنظريات التي نسبت إلى غيرهم " (١)

أسس بناء الحضارة الإسلامية

وبناء على ما سبق يتبيَّن لنا الأسس التي بنيت عليها الحضارة الإسلاميَّة وهي كالتالي : أسباب تعود إلى الإسلام نفسه ، وأسباب تعود إلى المسلمين .

١- دين قويم عمل على توحيد العرب والمسلمين ، ونزع من نفوسهم أدران الشرك والعصبيَّة الجاهليَّة ، والسمات السلبيَّة .

٢- دعوة الإسلام إلى التفكير والإبداع وإعمال العقل ، ذم التقليد والتكرار واتباع الهوى .

٣- دعوة الإسلام للتفكر في الآفاق وفي النفس ،وهما مجال البحث العلمي الحديث.

٤- دعوة الإسلام لدراسة سير الأمم السالفة واستخلاص العبرة منها .

٥- ربط الإيمان بالعمل الصالح الذي يعني كل عمل يعود بالنفع على الإنسان أو غيره سواء أكان دينيّاً أو دنيويّاً .

٦- الانفتاح على الحضارات الأخرى وترجمة علومها ومعارفها وفنونها إلى العربيَّة .

٧- تشجيع الخلفاء والأمراء العلم والعلماء ، والإنفاق عليهما بسخاء .

---

(١) د. عبد الحليم منتصر " أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية " الهيئة العانة للكتاب ص ١٨٤-١٨٥

٨- علو منزلة العلماء بين الناس بفضل تعاليم الدين الإسلامي الذي رفع درجتهم ، وجعلهم ورثة الأنبياء ، وجعل تفكر ساعة خير من عبادة سنة .

٩- إنشاء المدارس والجامعات والمكتبات ودور العلم وجعلها جميعاً بالمجان لطلاب العلم والمعرفة .

١٠- الإنفاق على طلاب العلم وتأمين معاشهم ، وإتاحة حرية السفر لهم.

١١- عدم الحجر على آراء العلماء ، وفتح باب الاجتهاد أمامهم واسعاً .

١٢- أدب الاختلاف ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وعدم الاحتكام للعنف في نشر العلم .

موقع مصر من الحضارة الإسلاميَّة

لمصر موقع متميز في الإسلام ، كما بيَّنا ، قبل أن يفتحها المسلمون وتأكَّد هذا التميز بعد أن فتحها المسلمون وأسلم معظم أهلها ونترك الحديث لعالم إسلامي غير مصري ليحدثنا عن مكانة مصر في الإسلام ودورها في الحضارة الإسلاميَّة .

ألقى الشيخ محمد بن عبد الرحمن العريفي خطبة عدَّد فيها فضائل مصر في مسجد البوادي بالسعودية بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٢ وقد اعتمد في هذه الخطبة على مقالات صديقه العزيز الباحث السعودي د.

محمد موسى الشريف التي نشرها في مجلة المجتمع تحت عنوان " فضائل مصر ومزايا أهلها " .

وفيما يلي عرض لأهم ما جاء في هذه الخطبة التي ذاعت في الآفاق وتقبَّلها المصريون بقبول حسن وأكبروا صاحبها .

بدأ العريفي خطبته بقوله : " شهادة في بلد الأنبياء، إنها شهادة في مسكن العلماء إنها رسالة إلى بلد العلم والجهاد ، إنني أتحدَّث اليوم عن أمِّ الدنيا، دعوني اليوم أتحدَّث عن مصر. إنه من شاهد الأرض وأقطارها والناس أنواعاً وأجناساً ، ولا رأى مصر ولا أهلها فما رأى الدنيا ولا الناس ، هي أمُّ البلاد وهي أمُّ المجاهدين والعُبَّاد قهرت قاهرتها الأمم ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم، هي بلاد كريمة التربة ، مؤنسة لذوي الغربة، فكم لمصر وأهلها من فضائل، ومزايا، وكم لها من تاريخ في الإسلام وخفايا منذ أن وطئتها أقدام الأنبياء الطاهرين ومشت عليها أقدام المرسلين المكرمين والصحابة المجاهدين .

إذا ذَكَرْتَ المصريين ذَكَرْتَ الكعبة والبيت الحرام فإن عمر رضي الله تعالى عنه، أرسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة، فصُنِعَتْ الكسوة من عهد عمر وظلَّت كسوة الكعبة تصنع هناك في مصر سنة تِلْوَ سنة حتى مرَّ أكثر من ألف سنة وكسوة الكعبة تُرْسَل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المائة سنة .

سأخطب عن كوكبة العصر، وكتيبة النصر وديوان القصر، سأتكلم عن أمِّ الحضارة وأمِّ المهارة ومنطلق الجدارة ، نعم سأخطب عن أرض العِزَّة وعن بلاد القطن ..

أرض الجنات والعيون

إنَّ مصر أيها المسلمون هي الأرض الطيبة التي قال الله تعالى عنها لما طهَّرها سبحانه من فرعون وقومه مدح الله تعالى مصر فقال : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان : ٢٥ –٢٧]

إن مصر فيها خزائن الأرض بشهادة ربنا جلَّ وعلا لما قال عن يوسف عليه السلام : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] ولم يذكر الله تعالى قصة نهر في القرآن إلا نهر النيل قال جلَّ وعلا : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٧] يعني في نيل مصر .

قال الكندي : " لا يُعلم بلد في أقطار الأرض اثني الله تعالى عليه في القرآن بمثل هذا الثناء ولا وصفه الله بمثل هذا الوصف ولا شهد له بالكرم غير مصر ".

وصية النبي بأهل مصر خيراً

نعم إنني أتكلم عن مصر ، وصَّى النبي ﷺ الأمة كلها بمصر وبأهلها فقال بأبي هو وأمي : " إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا " [رواه مسلم]

فهي وصيَّة للأمَّة كلها لكلِّ من تعامل مع المصريين أنْ يحسن إليهم وأنْ يكرمهم وأنْ يعرف قدرهم وأنْ يقف معهم عند حاجتهم وأنْ ينصرهم عندما يؤذون، الهدية إليهم من أفضل الهدايا ، وأذيتهم من أعظم الرزايا ،ولم يكتف نبينا ﷺ بمدح مصر وأهلها بل أمر بالإحسان حتى إلى أقباطها فقال ﷺ : " الله الله في قبط مصر فأنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله " [صححه الألباني]

أيها المصريون : الإسلام فيكم وَجَدَ أعياده .. وكنتم يوم الفتح أجناده .. وكنتم عام الرَّمادة مِدَاده .. وأحرقتم العدوان الثلاثي وأسياده .. وحطمتم خط بارليف وعتاده .. وكنتم يوم العبور أسياده وقواده .. يا أهل مصر .. يا أهلي ويا مشايخي ويا من أخذْتُ عنهم الأسانيد في قراءة القرآن .. يا أصحابي إنَّ في أرضكم الوادي المقدس طُوَى، وفيها الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، وفيها الجبل الذي تجلَّى الله سبحانه إليه فانْهَدَّ الجبل دكّاً ، وهي مَبْوَء الصدق الذي قال الله تعالى عنه : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس:٩٣] .

وفي أرضكم يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع من أصله من الجنة، قال ﷺ : " سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ "

[رواه مسلم]

وفي أرض مصر الرَّبْوَة التي أَوَى إليها عيسى عليه السلام وأمَّه قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون : ٥٠]

وعلى أرض مصر ضرب موسى عليه السلام بعصاه فانفلق الحجر له ماءً وانشق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم .

نعم إنها مصر.. إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر .. إذا أردت اللغة والفصاحة فإنك تنتهي إلى مصر .. إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزاما إلى مصر .. إننا لا نتحدث عن بلد عادي، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر جليل الجناب أشار الله تعالى لِكَبِر مصر، وأشار لِعِظَم مساحتها فقال جل وعلا : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء : ٥٣]

قال عمر بن العاص " ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة " يعني أنَّ كلَّ بلاد الإسلام في كِفَّة، وإنَّ الذي يَلِي على مصر يكون أخذ الكِفَّة الأخرى .

وقال سعيد بن هلال : " إنَّ مصر أمَّ البلاد وغَوْث العباد ، إنَّ مصر مُصَوَّرة في كتب الأوائل وقد مدت إليها سائر المدن يدها تستطعمها وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان " .

قال الجاحظ : " إنَّ أهل مصر يستغنون بما فيها من خيرات عن كل بلد حتى لو ضُرِبَ بينها وبين بلاد الدنيا بسور ما ضرهم " وفي مصر رباط الإسكندرية الذي رابط فيه العلماء، والزُّهاد والعُبَّاد والمجاهدون والأبطال والشجعان ،.

قال أبو الزناد صاحب أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : " خير سواحلكم رباطاً الإسكندرية "

وعند المصريين جامع عمر بن العاص صاحب رسول الله ﷺ وهو أوَّل جامع بُنِيَ في قارة إفريقيا وقد ضَبَطَ قبلته جماعة من الصحابة قُدِّرُوا بثمانين صحابيٍّ اجتمعوا عنده عند بنائه وقَدَّرُوا قبلته ، وعند المصريين جامع الأزهر الذي له الفضل لمشهور، العلم المنثور والتقدم الكاسر، والارتفاع القاهر، العلماء فيه متكاثرون، والعُبَّاد فيه قائمون والزُّوار إليه متوافدون .

مصر قادت الأمَّة الإسلاميَّة أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة في مصر من بعد انقطاع الخلافة من بغداد في عام ٦٥٦ هـ إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين بتركيا في عام ٩٢٤ هـ بينهما أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة في مصر وهي التي تقود بلاد الإسلام .

أرض الأنبياء والمرسلين

أمَّا أهل مصر فيكفيهم شرفٌ وفخرٌ أنَّ الله تعالى اختار منهم الأنبياء وجعل الله تعالى الأنبياء يسكنون بين ظهرانيهم، فهذا الخليل إبراهيم شيخ الموحدين، وجدُّ خاتم النبيين أتى مصر مع زوجه سارة وتزوج هاجر المصريَّة، وهذا يعقوب عليه السلام دخلها مع أبنائه الأنبياء فيها تُوُفُّوا ودُفِنُوا فيها ، وهذا يوسف عليه السلام سكن مصر وحَكَم فيها وتُوُفِّي ودُفِنَ فيها، وهذان موسى وهارون –عليهما السلام وُلِدَا في مصر وعاشا فيها، وهذا يُوشَع بن نون وُلِد في مصر وعاش فيها ، وهذا الخَضِر ، وهذا أيوب وأشعيا وأرميا –عليهم أفضل الصلاة والسلام – كلهم دخل مصراً ومنهم من مات فيها .

وقد ضرب الله تعالى أبطال مصر أمثلة في كتابه فمن المصريين مؤمن آل فرعون البطل الثابت على الحق الذي قال الله جلَّ وعلا عنه ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ..﴾ [غافر:٢٨] وهو مصري الرجل المؤمن الذي حذَّر موسى عليه السلام ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠]

ومن المصريين السَّحَرَة الذين ذكر الله تعالى قصتهم لمَّا آمنوا وصدَّقوا وكانوا في أوَّل النَّهار سَحَرَة فَجَرَة، وصاروا في آخر النَّهار شُهَدَاء بَرَرَة .. إنها بلاد الأبطال .

أشهر نساء مصر في الإسلام

أمَّا نساء مصر فيكفي المصريات فَخْراً ، وعزّاً ، وشَرَفاً أنَّ سيِّد الأنبياءﷺ كانت جَدَّته هاجَر مصريَّة، وأمُّ ولده مارية مصريَّة، ويكفي المصريات فَخْراً أن ماء زَمْزَم تفجَّر إكراماً لامرأة مصريَّة ولابنها، ويكفي المصريات فَخْراً أنَّ هاجَر المصريَّة عندما سَعَتْ بين الصفا والمروة خلَّد الله تعالى فعلها، وأمر الأنبياء وسائر الأولياء والحُجَّاج والمُعْتَمِرين بأنْ يسعوا كسعيها .

ويكفي المصريات فَخْراً أنَّ أمَّ موسى عليه السلام مصريَّة، وأنَّ آسيا امرأة فرعون مصريَّة، التي قال الله عنها : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:١١]

ويكفي المصريات فَخْراً أنَّ المرأة الصالحة التي كانت ماشطة لبنت فرعون كانت مصريَّة، وقد قال نبينا ﷺ : " لما كانت الليلةُ التي أسري بي فيها وجدتُ رائحةً طيبةً فقلتُ : ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل ؟ قال : هذه رائحة ماشِطَة بنت فرعون وأولادها " [رواه الحاكم وصححه]

أيها الناس : إنَّ أهل مصر هم من أَلْيَن الناس تعاملاً وأحسنهم أخلاقاً وأدباً ، قال تاج الدين الفزاري : " من أقام في مصر سنة واحدة وجد في أخلاقه رقَّة وحسناً "

وقال ابن ظهيرة عن أهل مصر : " حلاوة لسانهم وكثرة مودتهم للناس ومحبتهم للغرباء ولين كلامهم وحسن فهمهم للشريعة، مع حسن أصواتهم وطيب نغماتهم وشجاها، وطول أنفاسهم وأعلاها، فَمُؤَذِّنُوهم إليهم الغاية في الطيب ووعَّاظهم إليهم المُنْتَهى في الإجادة والتَّطْرِيب ، ونساءها أَرَقُّ نساء الدنيا طبعاً ، وأحلاهن صورة ومَنْطِقاً وأحسنهن شمائل، وأجملهن ذاتاً ، ومازلت اسمع قديماً عن الشافعي إنَّه قال : " من لم يتزوَّج بمصريَّة لم يَكْمُل إحْصانُه " .

أشهر الصحابة الذين سكنوا مصر

أيها المسلمون : ولقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من صحابة سيدي رسول الله ﷺ حتى لمَّا أُحْصِيَ عدد الصحابة الذين دخلوا مصر، أو سكنوا فيها، أو زاروها أو حكموها أو دُفِنُوا في ترابها فَتَعُّدوا أكثر من ٣٥٠ صحابيٍّ .

كلهم قد أَتَوْا إلى مصر منهم من جاءها رسولاً إليها أو حاكماً لها، أو مجاهداً فيها أو مُعَلِّماً لأهلها منهم عمرو بن العاص، عبد الله بن أبي

السرح، عبد الله بن عمر، وكلهم قد وَلُوا مصر، منهم جابر بن عبد الله بن حرام ،ومنهم الزبير بن العوام وعبد الله بن الزبير، منهم سعد بن أبي وقاص ومنهم عبادة بن الصامت وعبد الله بن عباس وعمَّار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر الغِفَاري، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة، عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي وهو آخر صحابي مات بمصر .

٣٥٠ صحابيّاً تخيَّرتُ أَبرزهم لكن كلهم قد سكن مصر أو زارها، في مصر ولد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز.

أشهر علماء الدين المصريين

أيها المسلمون : إذا تكلَّمنا عن مصر فإننا نتكلَّم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كِرَام وتابعون أَعْلام ، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين ،الذي قال فيه الشافعي : " الليث بن سعد أعلم من مالك " ومنهم القارئ " وَرْش " ، إذا سمعت من يقول على قراءة " وَرْش " فاعلم إنَّه مصريٌّ .

اليوم أكثر أهل لإفريقيا وأهل المغرب يقرءون بقراءة هذا المصريِّ ومنهم ، ومنهم الشافعي الإمام وله أئمة كُثُر كلهم من طلابه وكلهم من المصريين، ومنهم سعيد بن كثير بن عفير وكان إمامًا عالماً ، قال عنه يحيى بن مَعِين إمام الجرح والتعديل لما سؤل عن مصر قال : " رأيت في مصر ثلاث عجائب : النيل، والأهرام، وسعيد بن كثير بن عفير " وكان عالماً إماماً .

ومنهم عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة ومنهم الإمام الطحاوي الذي أَلَّف العقيدة الطحاوية وهي تدرس اليوم في كل الدنيا وتدرسها الجامعات هنا في المملكة العربية السعودية ، ومنهم

الإمام بن النحاس والقاضي عبد الوهاب المالكي، وشيخ الحنابلة الحافظ عبد الغني المقدسي، فإذا ذكرت الحنابلة وذكرت الفقه الحنبلي رجعت لِزاماً إلى عبد الغني المقدسي وكان قد خرج من الشام وسكن في مصر .

ومنهم الإمام البطل العز بن عبد السلام ومنهم ابن خَلَكَان صاحب وفِيَّات الأَعْيان، ومنهم والقارئ العظيم الذي تحفظ منظومته طلاب وطالبات كُثُر في أنحاء الدنيا الإمام الشاطبي ، ومن الذي لا يعرف الشاطبي وهو الذي أَلَّف منظومة في ألف بيت في تلاوة القرآن وقراءته .

ومن المصريين مُؤَلِّف كتاب " الترغيب والترهيب " عبد العظيم المُنْذِرِيّ ، ومن المصريين الإمام القِرَافِيّ وهو من أذكياء العالم، ومن أئمة الدنيا ومن أعيان المذهب المالكي ومن المصريين " ابن دَقِيق العِيْد " الذي لم تر الدنيا مثله أبداً ، ومنهم خليل المالكي إذا سمعت " بمختصر خليل" الذي يُعَوِّل عليه المالكية اليوم في دروسهم وجامعاتهم فاعلم إنَّه مصريٌّ ،ومنهم ابن هشام النحوي ومنهم الإمام الهيثمي صاحب كتاب " مجمع الزوائد " ومنهم ابن حَجَر العَسْقَلاني الذي أَلَّف " فتح الباري في شرح صحيح البخاري " ومنهم محمود العيني الذي أَلَّف " عمدة القاري في شرح صحيح البخاري " .

ومنهم المقريزي (شيخ المؤرخين المصريين وصاحب كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف باسم خطط المقريزي) والإمام صاحب كتاب " تفسير الجلالين " الإمام جلال الدين المحلي الذي أتمَّه بعد ذلك الإمام السيوطي وكلاهما مصري ومنهم الحافظ السيوطي

ومـنهم شـيخ الإسـلام زكريـا الأنـصاري (القاضـي والفقيـه والمحـدِّث والمفسِّر) ومنهم الشيخ أحمد الدردير وكان عبداً علماً صالحاً .

أشهر أبطال مصر الإسلامية

أما أبطال مصر ومجاهدوها فالكلام عنهم يَطُول كثير من القادة مع صلاح الدين الأيوبي كانوا من المصريين منهم القائد: حسام الدين لؤلؤ كان قائداً للأسطول البحري المصري، كان شوكة في حلق الفرنجة . قال عنه الإمام ابن كَثِير : كان البحر في البحر فَكَمْ من شجاع أسر، وكَمْ من مَرْكَب انكسر، وكَمْ من أسطول فرَّق شمله، وقارِب غرق أهله مع كثرة الصدقات، قال : ولمَّا عمل إرناط الصليبي مراكب وأسطول، وجعلها في البحر الأحمر ليغزو مدينة –رسول الله صل الله عليه وسلم– انطلق إليه حسام الدين بأسطوله المصري ودكَّ أسطول الفرنجة حتى قتلهم عن آخرهم ومن أبطال مصر الذين سكنوها صلاح الدين الأيوبي الذي فتح بيت المقدس .

أيها الناس : بل أيتها الدنيا كلها لن ينسى التاريخ أبطال مصر الذين ردُّوا الحملة الصليبية التي قادها ملك فرنسا واستولى على دمياط فَكَمَن له أبطال مصر وأذاقوه سوء العذاب ، وأبادوا جيشه وكانوا عشرات الآلاف ثم اخذوا هذا القائد الفرنسي (لويس التاسع) وحبسوه في دار تسمى دار ابن لقمان في المنصورة ووضعوا القيود في يديه ورجليه، ووكلوا به حارس يسمى صبيح ثم فَدَى نفسه بأموال كثيرة عظيمة.

ومن المصريين الأبطال سلطان المماليك قطز، وهو الذي قاد معركة عين جالوت، ومن المصريين الأبطال ضباط وجنود شاركوا في حروب فلسطين وغيرها من مواضع الجهاد في سبيل الله .

وإذا ذَكَرْتَ مصر وتاريخها ذَكَرْتَ العُبَّاد والزُّهاد، ذكرت حَيْوَة ابن شريح (الإمام، الفقيه، شيخ الديار المصريَّة، الزاهد العابد ، الثقة في الحديث) ، وذكرت ابن محمد بن سهل وكان عابداً صالحاً آمراً بالمعروف داعياً إلى العقيدة الصحيحة (ومنهم ثَوْبان بن إبراهيم، "ذو النون"، أحد أعلام التصوُّف في القرن الثالث الهجري ومن المحدثين الفقهاء) .

وفي مصر أيها المسلمون من الأدباء والكتاب والشعراء أعداد لا يُسْتَهان بها ممن زاروها أو كانوا من أهلها ، فإذا قرأت الشعر الرائق لجميل بثينة وهو من أفصح الشعراء فاعلم إنَّه مصريٌّ ، وإذا قرأت الشعر الرائق لكُثيِّر عَزَّة ،واعلم إنَّه مصريٌّ وإذا قرأت للشاعر الشهير المتنبي أحمد بن الحسين فاعلم إنَّه أقام بمصر ٤ سنوات .

إنك تتكلم عن بلد عظيم لا يزال له إلى اليوم ما يُؤَمَّل له قيادة للأمة ومن السير على منهاج أجدادك من صحابة رسول الله ﷺ .

مصر بلد قراء القرآن البارزين

المصريون لا تكاد تجد من القُرَّاء في العالم من قُرَّاء القرآن وممن معهم إجازات وأسانيد إلى رسول الله ﷺ في حفظ القرآن، إلا وجدت للمصريين عليه يَداً . إمَّا أَقْرَأهم مصريٌّ أو حَفِظَ القرآن على مصريٍّ أو

ضَبَطَ تَجْوِيده مصريٌّ أو كتب له هذا السَّنَد مصريٌّ، وما تكاد تجد إلى اليوم حتى المشايخ والعلماء في الأرض كلها إلا تجد منهم من قرأ على مصريٍّ، أو درَّسه في الجامعة مصريٌّ أو صلَّى به إماماً يوماً من الأيام مصري ، ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد ، مدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم، ولمصر من العلماء في الطِّب وفي الذَّرة وفي الهندسة وفي الدَّعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يُدْرك شئوه أبداً ."

ونشكر للشيخ العريفي وغيره حبهم مصر ومعرفتهم منزلتها واعترافهم بفضلها ولكن الحقيقة أن كثيراً من العلماء الذين ذكرهم العريفي في خطبته ليسوا مصريين خُلَّص فبعضهم قد وُلِد في غير مصر ثمَّ رحل إليها وبقي فيها زمناً وربما رحل عنها بعد ذلك ودُفِن في بلد آخر ، وهكذا كان العلماء المسلمون إبان الخلافة الإسلاميَّة كل بلاد المسلمين بلادهم ؛ يولد في بلد ويرحل في سبيل العلم إلى بلد آخر (أو بلاد) وينبغ في بلد ثالث وقد يموت في بلد رابع .

يقول احمد أمين : " كانت المملكة الإسلاميَّة في سهولة انتقال العلماء من مكان فيها إلى مكان ، كأنها رقعة شطرنج وهم بيادقها (عساكرها)، فترى العالِم في المشرق فإذا هو في الأندلس ، وفيما هو في الأندلس إذا هو في العراق ، وفيما هو في العراق إذا هو بمصر والشام ؛ لا يعوقهم فقر ، ولا يفتُّ في عزمهم صعوبة الطريق وأخطاره ، سواء

علـيهم الـصحراء وحرهـا ، والبحـار وأمواجهـا ، إذ تغلغـل فـي نفوسـهم اعتقاد أن طلب العلم جهاد ، فمن مات في سبيله مات شهيداً " (١)

***

(1) أحمد أمين " ضحى الإسلام " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٧٢ .